أعرّف عن نفسي كمطرب سوري بالقدود والموشحات

بلال شبلي لـ«الوطن»: صباح فخري حملنا المسؤولية بأن نحافظ على الأغنية السورية الطربية

سوسن صيداوي

التاريخ يشهد عندما بدأت الموسيقا في المضي نحو الضياع والتلاشي والتشتت وخاصة في شرق المتوسط وفي كثير من العواصم في العالم. حلب هي المدينة التي استطاعت الاحتفاظ بالموسيقا بعروبة عناصرها وبأصالة شرقيتها، فحلب حتى اللحظة أم الموسيقا، ومن بين صخور قلعتها الشامخة، الشاهدة على الحضارة السورية الولّادة، تهمس أرواح، عاصرت وتعيش حتى الآن، فمنها من استمر كي تكون سفيرة تحمل رسالة بكل مسؤولية، لأنها مُقدّرة لهذا المصير، ومنها بلبل يشدو بصوته الأغنية الحلبية والطرب الأصيل، متوسّماً بالقدود والموشحات، مصنفاً نفسه كمطرب، لا يقبل التنازل عن هذه المرتبة، حاملاً مسؤوليتها، وساعياً لتطوير موهبته في الصوت والأداء. إنه المطرب الشاب بلال شبلي، ولد في عائلة حلبية تقدّر الفن أباً عن جد، وهو أخ للمطرب الراحل وضاح شبلي الذي مكنه من صقل موهبته بالشكل الصحيح، مشجعاً إياه لاحتراف الغناء والسعي لنيل الشهرة، ولكن وفق أصول النجومية الحقيقية. تكوينه هذا وتربيته إضافة إلى حلمه ومن ثم احترافه للغناء، كلّها أمور زادت عليه الأعباء وحمّلته المسؤولية كي يحافظ على تصنيفه كمطرب سوري واعد، وخاصة في ظل الاستهتار بما لدينا من مواهب وأصوات، مع عدم الاكتراث بها، أو السعي الجاد من الجهات المعنية لتشجيعها وتوظيف الأموال الخاصة من شركات الإنتاج لإطلاقها إلى الوطن العربي لأنها- وكلنا يعرف أنه في قرارة أنفسنا- أصوات ومواهب سورية، ومستحقة. صحيفة «الوطن» التقت الفنان الشاب وإليكم الحوار الآتي.

• متى اكتشفت أن صوتك جميل وأنك تحب الغناء؟

لقد خُلقت محباً ومتعلقاً بالفن، فعيوني تفتّحت على الغناء والطرب الأصيل في عائلتي، هذا من جهة، ومن جهة أخرى امتهان أخي وضاح رحمه الله للغناء، كان من أهم الأسباب التي صقلت موهبتي، والتي بدأت تنمو من خلال حفلات المدرسة الابتدائية، هذا إضافة إلى دراستي للموسيقا والعزف على العود في معهد حلب الموسيقي، كلّها عززت موهبتي وطورتها بالطريقة الصحيحة، وهكذا بقيت مواظباً حتى عام٢٠٠٠ وفي هذه المرحلة قررت الاحتراف في الغناء.

• هل شجعك الأهل على قرارك هذا؟

طبعا... الأهل شجعوني، وخاصة أخي وضاح، صحيح أنه كان يخاف عليّ من طريق الفن- لأن مشواره صعب- إلا أنه كان يوجهني ويرشدني، فهو لم يكن أخي الأكبر فقط، بل كان الأب الروحي والأستاذ الموسيقي.

• هل تتذكر أول حفلة قدمتها؟

أول حفلة قمت بالغناء فيها لن أنساها مهما حييت، ففي بدايتها حدث أمر أربكني، لكنه جعلني أصمم على تحقيق حلمي. كانت الحفلة في عام٢٠٠٠، وعندما اعتليت مسرح جامعة حلب لأغني أمام جمهور بحوالى الألف شخص، وبعد تقديمي، كانت ردة فعل الجمهور قاسية وكان ينادي ويهتف بصوت عال «واسطة»، طلبت من الفرقة أن تتوقف عن العزف، وبقيت في مكاني من دون أي حركة إلى أن توقف الجمهور، هنا بدأت بالغناء، وأتذكر تماماً بأن الأغنية كانت «موعود» لعبد الحليم حافظ، وشعوري في تلك اللحظة لن أنساه، لأنه خلق لدي حالة من التحدي والثقة العالية بالفن وبقراري الغناء، وخاصة لأن وجودي على مسرح الجامعة لم يكن أبداً بسبب «الواسطة» التي نُسبت إلي بحكم أن أخي مغنٍ، وبعد أن أنهيت الأغنية علا صوت التصفيق والتصفير، وشكرت الجمهور وانسحبت من المسرح، فصار يهتف كي أعود. طبعاً هذا الموقف جعلني أؤمن بموهبتي بشكل أكبر وبأنني سأستمر، وخاصة في مدينة حلب، التي تتميز بأن أهلها شعب سميع لدرجة عالية ولا يمكن الاستهانة بذوقه أبداً.

• لأن أخاك فنان قدير وله اسمه في الأغنية السورية الطربية... امتهانك للغناء ألم يصعب عليك الأمور ويضعك في مجال المقارنة؟

بالفعل... هذا الأمر صعّب عليّ الأمور، وأقحمني معه بالمقارنة، التي كنت أعاني منها ولا أستسيغها، كما أن كثيراً من الأشخاص كانوا يقولون لي العبارة التالية «هناك تلاميذ أشطر من أساتذتهم». هذا الأمر مزعج جداً، لأن لكل إمرئ نصيباً ولديه ما يميزه عن الآخر، وأمر طبيعي أن ما يمتلكه أخي أنا لا أمتلكه.

• ولكن لابد من وجود قواسم مشتركة بينكما؟

أنا أشبهه بالكثير، فهو من قام بتربيتي، ومن ثم كان حريصاً علي وعاملني كابن له. أخذت منه كل شي جميل على الصعيد الشخصي والفني. هو رجل مندفع وجريء أكثر مني، أنا بعكسه خجول. هو يمتلك العفوية والبساطة، وهذه الأمور موجودة عندي ولكن أختلف معه بدرجتها. إحساسه في الغناء أعمق مني، ولكن إحساسي بدأ ينضج، وخاصة بعد وفاته.

• هل كان يشاركك في اتخاذ قراراتك الفنية.. واليوم ما حالك وهو غائب عنك؟

كان شريكي ليس فقط في الأمور الفنية، فهو شريكي أيضاً في أموري الحياتية. لا أشعر أنه غائب بل على العكس هو حاضر، وحتى اللحظة أنا أعرف بما سيشجعني عليه وبما علي أن أرفض أو أبتعد عنه.

• لكونك ابن حلب... من الطبيعي أن تتأصل بالأغنية الحلبية وتؤديها بشكل دائم في كل الحفلات والمناسبات؟

هذا صحيح.. لأني ابن حلب لا يمكنني التفكير بتاتاً بتجاهل الأغنية الحلبية، فعلاقتي بموسيقاها تشبه الظمآن الذي لا يرويه إلا ماء نبعه. فصباح فخري هو قلعة الفن في العالم العربي وهو مدرسة لن تتكرر، وما قدمه للفن من المستحيل أن يقدمه فنان. لقد أعطى للأغنية السورية طابعاً وتعريفاً لها بالأوساط العربية وحتى العالمية، وأنا أعرّف عن نفسي كمطرب سوري من خلال القدود والموشحات. صباح فخري حمّلنا المسؤولية بأن نحافظ على الأغنية السورية الطربية كي تستمر إلى الأجيال القادمة.

> محلياً نحن نفتقر إلى إدارة العناصر القادرة على صناعة نجم أو أغنية ضاربة

• ما رأيك بالأغنية الشعبية السورية؟

في فترة كان للأغنية السورية الشعبية انتشارها الواسع، ومن الأسماء المهمة التي ساهمت في نشرها ونجاحها في أقطار الوطن العربي على سبيل الذكر:الموسيقار سهيل عرفة، الفنان فهد بلان والفنان فؤاد غازي. في الآونة الأخيرة نجح بعض فناننا الشباب في إعادة الألق للأغنية السورية. ولكن هنا لابد لنا من تسليط الضوء على نقطة مهمة، سورية هي بلد الحضارة والفن لأنها حققت الانتشار الأوسع سواء في الدراما أم في الدوبلاج، ولكنني عانيت على الجهات المعنية، لدينا االكثير من الأصوات الجميلة والمواهب، وحتى أنا مثلاً إذا أردت أن ألحق بالشهرة فأمامي خياران: إما أن التحق ببرنامج للهواة في البلاد العربية، أو أن أوقع عقد احتكار لشركة إنتاج خارجية، وكلا الأمرين مرفوض. وما هو كارثي بحق المغني السوري- وهو في الوقت نفسه واقع مؤلم- ليس لدينا شركات إنتاج تقوم على رعاية المطربين والمغنين وتطلق المواهب الشابة، فنحن غير قادرين على إنجاز أي عمل فني واحد، فالأمر يكلّف الكثير من الأموال، هذا إضافة إلى الحاجة الضرورية للدعم الإعلامي والتنسيق للحفلات والمهرجانات. إذاً، نحن محلياً وبالرغم من أن لدينا كل المقومات من حيث الأصوات الرائعة والأموال، إلا أننا- وهي الحقيقة المرّة- نفتقر إلى إدارة العناصر أو الرغبة الجادة التي تسعى إلى صناعة نجم أو أغنية ضاربة، بعكس الدول العربية كمصر ولبنان، فهناك الكثير من الفنانين غادروا سورية وأصبحوا نجوماً ومن الصف الأول ولكن في الخارج. وفي النهاية الغناء مثله مثل الدراما والدوبلاج قادر على تحقيق الأرباح وجلب الأموال.

• مؤخراً أطلقت ألبوماً متضمناً مجموعة من الأغاني المنوعة بين الطربي والشعبي.. وعلى رأس القائمة أول أغنية خاصة لك.. حدثنا عن ذلك؟

الأغنية الخاصة بي كنت سجلتها منذ زمن طويل، ولظروف خارجة عن إرادتي لم أتمكن من إطلاقها، ومع التحضير للألبوم أحببت أن تكون هذه الأغنية أول الأغاني المطروحة، وهي بعنوان «سنة ورا سنة» من كلمات وألحان أبيك أوريان وتوزيع حمادة شبارة. أما أغاني الألبوم فقد جمعت بين الطربي والشعبي كي يكون قريباً من أهواء الناس، والأغاني هي:بنت السلطان، زينوا المرجة، العيون السود، لو يواعدني الهوى، عايشة وحدا بلاك، الحالة تعبانة يا ليلى، خايف كون عشقتك وحبيتك، لا تهزي كبوش التوتي، أنا اللي عليكي مشتاق، يا ريت بترضي يا ريت، الدنيا زي المرجيحة، حاول تفتكرني.

• هل قمت بغناء أغنيتك الجديدة في حفلاتك.. وكيف وجدها الجمهور؟

نعم قمت بغنائها في إحدى الحفلات، ولاقت الإقبال، ما أدهشني لأنه لم يسمعها من قبل، ولكنه تفاعل معها ومن ثم كان الأمر مشجعاً.

• تصنف نفسك كمطرب.. هذه المرتبة ألا تصعب عليك الأمور لبذل المزيد من الجهد والمثابرة؟

بالفعل.. هذا الأمر يتطلب مني الكثير من العمل، والمسؤولية الكبيرة تجعلني دائماً مهتماً لتقديم الأفضل كي أُبرز نفسي في الساحة.

• ومن ثم لن يرضيك أي لحن أو حتى كلام؟

هذا صحيح.. ولكنني مرن، بمعنى أنا أحب اللحن العذب والكلمة الجميلة التي تصل إلى الجمهور، حتى لو كانت بسيطة، إذاً، تكمن الصعوبة في دقة الاختيار.

• ما الأغنية التي تدندنها دائماً وتتمنى لو كانت أغنيتك بالاسم والصوت؟

هناك أكثر من أغنية، ولكن توجد واحدة تربطني بأخي وضاح، هي أغنية لعبد الحليم حافظ «تفتكرني»، وأنا أغنيها بشكل يومي في حفلاتي وبين أصدقائي.

• من بين الأصوات النسائية العربية.. أياً منها تختار كي تغني معه على طريقة الديو؟

أحب صوت المغنية اللبنانية يارا، وأتمنى في المستقبل أن تجمعنا أغنية خاصة، لأنها مغنية تتمتع بإحساس رائع، واختياراتها لأغنياتها موفقة.

• في ختام الحوار.. ما كلمتك الأخيرة؟

سأكمل رسالة أخي المطرب وضاح شبلي وسأجدد أغانيه، وأتمنى من الله أن تخرج سورية من محنتها، وأن نرتقي بالأغنية السورية وبحالها كما فعلنا في الدراما والدوبلاج فنحن كسوريين نستحق الأفضل دائماً.

الزجاج المعشق هوية سورية ودمشقية خاصة

اختصت به الشام وفي مختلف العهود ليقدم الذوق الفني

منير كيال

تعد صناعة الزجاج التقليدية بسورية عامة وبدمشق خاصة، من أهم الصناعات التقليدية التي تستدعي اهتمام السائح، فلا يكاد السائح يحط رحاله بدمشق، إلا ويهرع مسرعاً إلى معمل أو فرن للزجاج، يعيش لحظات حية مع الصناع وهم يعملون بدأب وأناة وبراعة.

ولعل من أهم أسباب اهتمام المستشرقين والباحثين بهذه الصناعة، إنما يعود إلى أن أول اكتشاف للزجاج في العالم كان ببلاد الشام، فضلاً عن ذلك، فإن المتاحف السورية، تزخر بنفائس فريدة من المنتوجات الزجاجية التي تعود إلى مختلف العهود الكنعانية والرومانية، وسائر العصور الإسلامية.

وقد عد الثعالبي هذه الصناعة من خصائص الشام، وضُرب بها المثل القائل: أرق من زجاج الشام.. واستمر ذلك حتى بين الحرب العالميتين حيث تعرضت صناعة الزجاج هذه إلى كَبْوات عدة نتيجة لظروف الحرب، لكن هذه الصناعة استعادت نشاطها بعد الحرب العالمية الثانية، وتابع الصناع نشاطهم وفقاً للأساليب المتوارثة، مع التلاؤم ما أمكن مع متطلبات السوق المحلية والمجاورة، نتيجة لما يتمتع به أولئك الصناع من أصالة الممارسة، وتذوق لروح الصنعة، واستعداد لمسايرة تطور متطلبات السوق.

أتى مؤسس هذه الصناعة، من عائلة القزاز إلى دمشق، من مدينة الخليل في فلسطين، فاستوطن حي الشاغور بدمشق، وأنشأ فرناً لهذه الصناعة بمنزله، عمل بهذا الفرن مع أفراد أسرته، ثم تعددت الأفران بهذا الحي، وما لبثت أن انتشرت بشمالي سورية، وبرع صناعها في بلدة أرمناز الذين كان لهم دور مرموق في تغطية حاجات المناطق الشمالية من سورية، من المنتوجات الزجاجية فشاركوا بذلك زملاءهم الدماشقة، وإذا كانت أفران الزجاج منزلية بأول أمرها، فإن هذه الأفران بعد أن كثر الطلب على منتوجاتها، ما لبثت أن توسعت وانتقلت إلى خارج المنزل، وقد كان فرن الزجاج يتكون من حوضين مبنيين من الآجر الناري (المتحمل للحرارة) هما: حوض الانصهار وحوض التصفية، وسقف هذين الحوضين منخفض ومقبب بعض الشيء، وفوقه مساحة تعلو إلى نحو ١٠٠ سم وهي مسقوفة بالتوتياء المغطاة بطبقة من الطين أو نحو ذلك، ويتخذ هذا المكان لتخمير القطع الزجاجية التي جرى صنعها، من قطر ميزان وأباريق وأراكيل (نراجيل).

وبين الحوضين المذكورين شقوق ينساب عبرها الزجاج المنصهر من حوض الانصهار إلى حوض التصفية، ويطلى الحوضان المذكوران من الخارج، بالطين المكون من التراب الناري والقش المعروف بالتبن.

وعلى ارتفاع يقارب ٦٠ سم من المحيط الخارجي للفرن، توجد فتحات (طاقات)، يتناسب عددها مع عدد العاملين على قطف عجينة الزجاج وصنعها قطعاً تدخل بالاستعمال. فبعد أن يغسل الزجاج المكسر وينقى، يفرز وفقاً لألوانه ثم يلقم به الفرن على شكل طرحة عبر فتحة يطلق عليها اسم الدوار، أما مقدار الطرحة، فهو حسب اتساع حوض الانصهار، وعندما ينصهر الزجاج فإنه يسيل من حوض الانصهار إلى حوض التصفية عبر الشقوق المشار إليها، وفي هذا الحوض (التصفية) تترسب الشوائب من رمال وحصى وتصبح عجينة الزجاج قابلة للتصنيع.

وما إن انتقلت أفران الزجاج من المنزل، إلى أماكن خاصة بها حتى أصبح بإمكان هذه الأفران تلبية حاجات قطاع أكبر من الناس، وقد صاحب ذلك تطور بنوعية الوقود المستعمل من كسبة الزيتون المعروف باسم الجفت إلى المازوت أو الفيول، فضلاً عن الكهرباء، وقد تطلب هذا الأمر، أن يكون العمل في فرن الزجاج مستمراً ليل نهار لأن إيقاف العمل بالليل يؤدي إلى تبرد عجينة الزجاج، ما يزيد في نفقات الإنتاج وبالتالي هدر الوقت لإعادة تسخين الزجاج وجعله عجينة صالحة للعمل، ولذلك أصبح العمل بفرن الزجاج على دفعتين، دفعة من منتصف النهار إلى منتصف الليل، ودفعة أخرى تعمل من منتصف الليل إلى منتصف النهار، وقد شمل ذلك الصناع والأجراء، ومن يرافقهم من العاملين، ولكل من هؤلاء عمل خاص ينفرد به، أما عدد العاملين بفرن الزجاج فيرتبط باتساع وكبر الفرن، كما يرتبط بعدد الفتحات (الطاقات) التي يقطف منها عجينة الزجاج، بغية صنعها وفقاً للطلب.

وكان من العاملين بفرن الزجاج ما يعرف بالصانع ثم المسطر ثم المخدم، فالصانع هو العنصر الأساسي الذي يعمل على قطف عجينة الزجاج من الطاقة المفتوحة على تلك العجينة، ثم يعمل على نفخ تلك العجينة ومعالجتها حتى تصبح آنية صالحة للاستعمال.

أما المخدم فإن عمله ينحصر في تسهيل عمل الصانع، بمناولته بعض أدوات العمل، وكذلك فتح القالب الخاصة بالقطعة التي تحيد الإنجاز، ومن ثم إغلاق ذلك القالب على تلك القطعة، حتى إذا جرى نفخها يفتح المخدم للصانع ذلك القالب، وفي جميع الأحوال فإن عمل المخدم إنما ينحصر بحدود العمل ضمن مكان العمل، ولا يتعداه إلى خدمات أخرى خارج المعمل.

أما المسطر فيقوم بتداول القطع الزجاجية المنجرة من الصانع، بوساطة ما يعرف بالسفّول، وهو قضيب معدني، وقد يكون قطعة خشبية طويلة يدخلها المسطر ضمن الآنية المنجرة، ليقوم الصانع بفصلها عن ما يعرف بالبولين، ومن ثم يعمد المسطر إلى وضع تلك القطعة بالقسم الأعلى من الفرن لتبرد ببطء وبالتالي تكون تلك القطعة صالحة للاستعمال.

يجلس الصانع أمام الكوة (الطاقة) المفتوحة على عجينة الزجاج وهذه الكوة تكبر أو تصغر وفقاً لحجم قطعة الزجاج التي هي قيد الصنع، وعلى ذلك فإن من الممكن القول: إن الطاقة التي تصنع عليها كاسة الشاي، أصغر من الطاقة التي يُصنع عليها القطرميز أو نحو ذلك، أما عدد فتحات فرن الزجاج، فهي تتناسب مع حجم الفرن وبالتالي عدد الصناع العاملين بالفرن، وأمام هذه الطاقة حجر صقيل، ويكون فتح الطاقة بوساطة دواسة يتحكم بها الصانع.

إذا جلس الصانع مقابل الطاقة، فإنه يدوس على الدواسة فتفتح الطاقة، ومن ثم يعمد الصانع إلى إبعاد الطبقة السطحية من عجينة الزجاج عن الطاقة بوساطة ما يعرف بالغزالة، فإذا كان له ذلك يشرع بقطف أو كرخ ما يريد من عجينة الزجاج عبر الطاقة، ويكون ذلك بأن يلف هذه العجينة على أنبوب معدني طوله (٨٠-١٢٠ سم) وقطره (٨-١٢) مم.

فإذا قطف الصانع ما يريد من عجينة الزجاج فإنه يضع على فخذه قطعة معدنية تعرف بالملقط، وهو يبرم ذلك الأنبوب المعدني المعروف باسم الحديدة على ذلك الملقط الذي على فخذه محاولاً تنقية العجينة مما شابها من حصى صغيرة أو نحو ذلك، بوساطة مقص لهذه الغاية، وبعد ذلك يقوم الصانع بدمج العجينة المذكورة على الصفيحة الحجرية التي عند مدخل الطاقة، ويشرع بنفخها عبر الأنبوب المذكور (الحديدة) وهو يحاول تسخين العجينة كلما بردت، ليسهل عليه نفخها، ولا يخلو عمله من أرجحة العجينة الزجاجية واقفاً أو جالساً، وإذا كانت القطعة التي يصنعها بحاجة إلى قالب فإن المخدم يفتح له ذلك القالب، فينفخها الصانع لتأخذ شكل القالب ومن ثم يفتح له المخدم القالب، ويعمد الصانع بعد ذلك إلى فصل القطعة عن الحديدة فيلصق أسفلها بأنبوب معدني يطلق عليه اسم البولين، وقد يساعده المسطر بذلك إذا كان حجم القطعة التي يصنعها الصانع أكبر من أن تدار على الحجر الصقيل الذي أمام الطاقة، وبعدئذ يعمد الصانع إلى تحمية أو تسخين فوهة القطعة ليقوم بفتحها على الشكل المرغوب بوساطة أداة كالملقط يطلق عليه اسم التربيع.

إذا أنجزت القطعة، يقوم المسطر بتناولها من الصانع بوساطة أداة خشبية أو معدنية طويلة هي السفود تدخل في فوهة القطعة المذكورة، ومن ثم يضع المسطر هذه القطعة بالقسم الأعلى من الفرن حيث يمكن أن تبرد تدريجياً لتكون صالحة للاستعمال. تفردت المصنوعات الزجاجية بتوفير الأدوات اللازمة للاستعمال المنزلي والحاجات الخاصة لبعض الأشخاص، ولكن توافر الأدوات المنزلية من مواد غير قابلة للكسر، كالبلاستيك جعل بالإمكان الاستغناء عن الكثير من هذه الأدوات، واستبدالها بأخرى من البلاستيك أو الألمنيوم أو نحو ذلك.

ونجم عن ذلك كساد للعديد من المنتجات الزجاجية التقليدية، وبالتالي فإن العديد من أفران الزجاج التقليدية في دمشق أخذت تخط طريق النهاية، وهذا الوضع جعل العديد من العاملين بحرفة الزجاج التقليدية يعملون على تطويع إنتاجهم ما يتوافق وحاجات الحياة اليومية المتجددة للأدوات المصنوعة من الزجاج، وذلك مع المحافظة على الأصالة في الأسلوب التقليدي القائم في أساسه على نفخ عجينة الزجاج وتشكيلها أدوات تصلح للاستخدام.

فقام عدد من معلمي حرفة الزجاج بإنتاج تعديلات ما تزخر به الدور والمتاحف من الأدوات والتحف الزجاجية، ومن ذلك الزهريات والقناديل والمشكاوات والثريات الحديثة، وغير ذلك مما تتطلبه الحياة المعاصرة للصالونات والدور الفارهة والفنادق السياحية، ومحال العرض الكبرى.

كان من أميز أولئك المجددين لحرفة الزجاج التقليدية السيد حسن القزاز (أبو نذير) عميد آل القزاز وشيخ كار حرفة الزجاج التقليدية في دمشق، وقد أثرت أعماله المحافل والمعارض والندوات الدولية، بدعوات من اليونسكو، وفرنسا والسويد وألمانيا والولايات المتحدة الأميركية، كان بكل من هذه الدول يبني فرنه التقليدي، ويشرع بالعمل أمام الجميع، كان بكل دولة يلقى الاستقبال والترحيب البالغين، وقد حدثني لدى زيارتي له سنة ٢٠٠٤ أن الجالية العربية في واشنطن استقبلته وصحبه استقبالاً يشعر بالاعتزاز والولاء والمحبة للوطن.

ومما قاله لي: إنه على استعداد لصنع الكريستال المعاصر بالفرن التقليدي إذا توافرت له الحماية المناسبة من المتطفلين على نفخ الزجاج.

ولا بد من الإشارة إلى أن الالتزام بنوعية الإنتاج التي توافق الأذواق المعاصرة مع توخي الجودة بنوعية الإنتاج، نجم عنه تناقص بعدد أفران صناعة الزجاج التقليدية، حتى أصبح عدد هذه الأفران فرنين، الأول بشرقي التكية السليمانية في سوق المهن التقليدية في دمشق والفرن الآخر بمنطقة باب شرقي في دمشق، ويعمل بكل منهما عدد من الصناع المهرة الذين توارثوا الكار (الحرفة) كابراً عن كابر.

وبالتالي فقد انحصر الإنتاج بصنع أنواع القناديل على مختلف أشكالها وأحجامها، وكذلك المشكاوات والتعاليق والفوانيس وأشكال عناقيد العنب والمزهريات والمشربيات والأباريق.

ولعل أهم ما تميز به فرن سوق المهن اليدوية، ما يطلق عليه اسم: الطقم الشرقي الذي يتكون من كازين ضوئيين، ومزهريتين ومطبقيتين بغطاء لكل منهما، وهذا الطقم يماثل الطقم الذي كان يتغاوى ويتفاخر به أصحاب القصور والدور الفارهة في دمشق، حيث كان هذا الطقم يصمد على البيرو المصدف والمطعم بالعاج والفضة والقصدير، وهو من صنع الحاج حسن القزاز (أبو نذير) شيخ كار حرفة الزجاج الذي تحدثنا عنه، وقد زينت قطع هذا الطقم برسوم من ماء الذهب لزخارف نباتية من عروق وأزاهير، وكتابات لآيات من القرآن الكريم فضلاً عن الأمثال والحكم.

وقد استخدمت في إعطاء قطع ذلك الطقم الألوان المناسبة من العديد من الأكاسيد ومنها أكاسيد النحاس والحديد والكوبالت، كما استخدم الذهب من عيار (K) وكذلك الفضة روباص، وبالطبع فإن تعرض كل قطعة للشي بحرارة تصل إلى ٦٠٠ درجة جعل مادة الزخرفة تنصهر وتتماثل مع الزجاج بنسيج واحد، لما في ذلك من دقة وذوق وأناة، من أناس مختصين اتخذوا عملية صنع الزجاج بطريقة النفخ التقليدية، وهم على درجة عالية من التفنن والإبداع.

وهذا بالطبع جعل الناس من المواطنين والأشقاء العرب والأجانب يقبلون على اقتناء تلك المصنوعات الزجاجية كهدايا تذكارية، أو لتكون تلك القطع ما يزيّن أثاث الدور وديكوراتها، ويزين ردهات الصالونات الكبرى، أكان ذلك في سورية أم في الأقطار العربية والدول الأخرى، فضلاً عن هذا لا بد من التوقف قليلاً عند حرفة الحفر على الزجاج التي تكمل منجزات حرفة الزجاج التقليدية، والحفر على الزجاج عمل فني تفرد به السيد الفنان المبدع (لويس صراف وزوجته) وهما من أهالي حارة حنانيا في باب شرقي في دمشق.

كان الصراف يرفض تلقين حرفته في الحفر على الزجاج والحرف الأخرى التي كان يتفرد بها إلى أحد، حتى أولاده، بحجة أنه لم يكن يستطيع أن يأكل أو يشبع من ذلك حتى الخبز، وقد قمت بزيارته برفقة وزير الثقافة السورية آنذاك، فكان ضمن هذه الزيارة أن قنع الصراف بتلقين ما يدّخر من معارف وفنون.

ويكون الحفر على الزجاج بطلي القطعة الزجاجية المراد الحفر عليها بمادة الشمع ثم يرسم على ذلك الشمع ما يراد نقشه أو حفره على الزجاج، ومن ثم تدهن القطعة بمادة الأسيد، ما يسبب تجويف الزجاج، ثم يعمد إلى إملاء أو دهن المكان بماء الذهب، وبعد أن يزال ما تبقى من الشمع على القطعة يوضع بها الضوء المناسب وتعلق، وتكون الزخارف على الأغلب بالخط الكوفي المشجر لحكم وأمثال تتناوب مع وحدات زخرفية ورسوم لعروق نباتية ودوائر متشابكة في مركزها رسوم زنابق وأزهار، وغالباً ما يكون هذا الحفر على المشربيات والأباريق والقناديل والمشكاوات.